ولّادة بنت المستكفي في المصادر التراثية

أ. د. مجد ياسر الملاح

مقدمة (أهداف البحث):

ولادة بنت المستكفي هي شاعرة قرطبة، وابنة أحد الخلفاء الأمويين. وهي، من غير شك، أشهر شاعرات الأندلس. وبعكس أخواتها من شاعرات الأندلس فإنها تحظى باهتمام كبير ونقاش مستفيض في دراسات الأدب العربي. ويرجع هذا، إلى حد كبير، إلى ارتباطها بشاعر الأندلس الكبير ابن زيدون. وفي الحقيقة فإن معظم الدراسات الموجودة حالياً هي عن علاقة ولادة بالشاعر ابن زيدون. وليس هناك الكثير عن ولادة الشاعرة والأديبة. إن الهدف الأساسي من هذا البحث هوالتعريف بأهمية ولادة بنت المستكفي شاعرة وأديبة وشخصية ثقافية مهمة في تاريخ الأدب العربي في الأندلس. وسيستكشف البحث كمية المعلومات التي دونها التراث عن ولادة بخاصة وكيفية دراسة هذه المعلومات في سياق الظروف السياسية والتاريخية التي مرت بها مدينة قرطبة في فترة ما بعد الفتنة التي أدت، في نهاية الأمر، إلى زوال حكم بني أمية وإلى بداية عصر ملوك الطوائف.

وعليه فإن البحث الحالي سيدرس شخصية ولّادة بنت المستكفي في المصادر القديمة لاستكشاف مدى ذكرها في تلك المصادر: ككتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنتريني، وكتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " للمقري، وغيرها من كتب التراث القديمة المتصلة بالموضوع الذي ندرسه. وسيتطرق البحث كذلك إلى الدراسات الحديثة التي شملت ولادة أوذكرتها، وسيعرض بالتفصيل لكيفية تصوير كتب التراث والتاريخ لوالد شاعرتنا الخليفة المستكفي. والهدف الأكبر هوالموازنة بين الصورة التي حفظها التراث لوالد الشاعرة وابنته الشاعرة المشهورة. وعلى الرغم من أن اسم شاعرتنا دائماً مرتبط بوالدها، في معظم الدراسات التراثية القديمة، فإن فيها القليل القليل عن كيفية تصوير الإثنين والتحليل المستفيض لهاتين الشخصيتين والموازنة بينهما في سياقات الظروف الثقافية والسياسية التي كانت تمر بها الأندلس آنذاك وعلاقتها بولّادة ووالدها.

نبذة تاريخية عن نهاية الدولة الأموية وبدايات عصر ملوك الطوائف في الأندلس:

إن بداية عصر ما يسمى بملوك الطوائف مرتبط بالفتنة التي فتكت بالأندلس وقرطبة بخاصة بعد تولي عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الحجابة ومحاولته، لقلة الخبرة والحكمة، السيطرة الكاملة على مقاليد الدولة في الأندلس. فقد بدأت الفتنة سنة ١٠٠٩م بعد أن أجبر عبد الرحمن الخليفة الأموي المؤيد أن يعين عبد الرحمن وليا لعهده. ثم استمرت الفتنة فترة طويلة من الاقتتال الداخلي بين المتصارعين على السلطة والمتناحرين على مدينة قرطبة والسيطرة عليها، إنها فترة محزنة مليئة بالقتل والدمار وعدم الاستقرار. الأسرة الأموية، التي جلبت الاستقرار والوحدة وعظمة الخلافة والعلم على أيدي الأمير عبد الرحمن الداخل وحفيده الخليفة عبد الرحمن الناصر وابن الناصر الحكم المشهور بمكتبته الهائلة واهتمامه بالقراءة والعلم والثقافة، أصبحت في فترة الفتنة جزءاً لا يتجزأ من لعبة الصراع على السلطة. وملخص الأمر أن عائلة بني أمية كانت منقسمة على نفسها في هذه الفترة وأصبحت جزءاً من الصراع على مقاليد الحكم الذي انتقل من شخص إلى آخر على مدار عقدين من الزمن. ولم يكن أحفاد عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر قادرين على إدارة الأمور كما كان الأمر لبني أمية من قبل ذلك. وعليه فقد انتهت الخلافة الأموية ومعها سيطرة قرطبة السياسية على الأندلس سنة ١٠٣١م عندما أصبح ابن جهور الحاكم الفعلي لقرطبة. ويعتبر هذا التاريخ أيضاً بداية لفترة ملوك الطوائف التي استمرت حتى سنة ١٠٨٤ م.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عائلة بني أمية أصبحت منبوذة إلى حد ما في تلك الفترة التي شهدت نهاية الخلافة في قرطبة. ويذكر ابن عذاري أن الأمر وصل إلى حد الإعلان الرسمي في الأسواق أن

العائلة الأموية يجب أن تترك مدينة قرطبة (هيتشكوك صفحة ١٠٦). ولا نعرف بالضبط ما الذي حصل للعائلة الأموية بعد ذلك، وهوأمر يستحق الدراسة والاستكشاف في المستقبل، غير أن شخصية مهمة من عائلة بني أمية بقيت في قرطبة، وهي بالطبع الشاعرة المشهورة ولّادة بنت المستكفي. والشيء الملفت حقاً هواختفاء العائلة الأموية باستثناء ولادة التي لم تكن شخصية هامشية في قرطبة بل يبدوأنها كانت شخصية مركزية من الناحية الثقافية. ولهذه المركزية الثقافية دلالات عزمت على استكشافها في هذا البحث.

ولادة بنت المستكفي في المصادر التراثية:

لا شك في أن ولادة هي أشهر شاعرات الأندلس. وهي تحظى بذكر مستفيض في المصادر التراثية. وسنقوم هنا بداية بعرض لما حفظته كتب التراث عن ولادة ثم نقوم بعرض ما حفظته هذه المصادرعن والدها الخليفة المستكفي. فعلى سبيل المثال، يخصص ابن بسام في كتاب الذخيرة فصلاً كاملاً عن ولادة بعد الفصل المخصص لأشهر شعراء الأندلس وأهمهم، أي الوزير والشاعر ابن زيدون. يقول ابن بسام في فصله المخصص لولادة:

"وأما ولادة التي ذكرها أبوالوليد بن زيدون في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري. وكانت في نساء أهل زمانها ، واحدةَ أقرانها، حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورج ومصدر. وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشوأهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها. تخلط ذلك بعلونصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب. على أنها—سمح الله لها، وتغمد زللها— اطّرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها (الجزء ١، صفحة ٤٢٩).

وبعد هذه المقدمة للتعريف بالشاعرة ونسبها وأهميتها، يعرض ابن بسام مجموعة من الأخبار معظمها عن علاقة ولادة بالشاعر ابن زيدون والوزير ابن عبدوس. وهي الأخبار أنفسها التي ستتكرر في مصادر التراث الأخرى التي، على الأغلب، اعتمدت على ابن بسام في نقلها لهذه الأخبار. وبعد هذا العرض الذي يمكن القول إنه يشكل معظم الصفحات عن ولّادة وابن زيدون، يعود ابن بسام لولّادة بشكل خاص حيث يقول:

"وطال عمرها وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين، وهولا يدع مواصلتها، ولا يغفل مواصلتها، ولا يغفل مراسلتها، وتحيف هذا الدهرُ المستطيلُ حالَ ولادة، فكان يمل كَلَّها، ويرقعُ ظلها، على جدب واديه، وجمود روائعه وغواديه، أثراً جميلاً أبقاه، وطلقاً من الظرف جرى إليه حتى استوفاه" (ج.١، صفحة ٤٣٢).

أما المصادر التراثية الأخرى فهي أيضاً تعيد بعض ما ذكره ابن بسام. ولكن يجب ذكر بعض ما تذكره تلك المصادر حتى تكتمل الصورة. فعلى سبيل المثال، يذكر ابن بشكوال ولادة في كتابه "الصلة" حيث يقول عن شاعرتنا:

"أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تمالط الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء. سمعت شيخنا أبا عبد الله بن مكي، رحمه الله، يصف نباهتها وفصاحتها، وحرارة بادرتها، وجزالة منطقها، وقال لي: لم يكن لها تصاون يطابق شرفها. وذكر لي أنها أختهُ مُعزية في أبيه إذ توفي، رحمه الله، سنة أربع وسبعين وأربع مئة، وتوفيت بعد سنة ثمانين وأربع مئة، رحمها الله" (الجزء الثاني، صفحة ٣٤٧) .

أما السيوطي الذي خصص جزءاً لولادة في كتابه "نزهة الجلساء في أشعار النساء"، فهويذكر الأخبار أنفسها المذكورة في الذخيرة، وبالأخص علاقة ولادة بابن زيدون والوزير ابن عبدوس. وهويصفها في بداية هذا القسم بأنها " كانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة " (صفحة ٨٧). أما المقري فهوأيضاً يعيد المعلومات أنفسها التي ذكرها ابن بسام، ولكنه أيضاً يخصص لولّادة فصلاً كاملاً في كتابه نفح الطيب.

الخليفة المستكفي في المصادر التراثية:

وبما أننا قمنا بعرض المصادر التراثية وما حفظته عن ولّادة، فإننا سنقوم الآن بعرض ما حفظته المصادر عن والد الشاعرة، أي الخليفة الأموي المستكفي. وسنبدأ هنا بابن بسام الذي صور الخليفة المستكفي في سياق حديثه عن الشاعرة الأموية. وهوشيء لافت للانتباه بدون أدنى شك وسيتبين معناه لاحقاً في قسم التحليل. يقول ابن بسام بعد أن روى أخبار ولادة:

"قال أبوحيان: بويعَ محمد بن

عبد الرحمن الناصري، يوم قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت لثلاث خلونَ من ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة، فتسمى بالمستكفي بالله، اسماً ذكر له فاختاره لنفسه، وحكم به سوء الاتفاق عليه، لمشاكلته لعبد الله المستكفي العباسي—أول من تسمى به—في أفنه ووهنه وتخلفه وضعفه، بل كان هذا زائداً عليه في ذلك، مقصراً عن خلال ملوكية كانت في المستكفي سميّه، لم يحسنها محمدٌ هذا لفرط تخلفه، على اشتباههما في سائر ذلك كله: من توثبهما في الفتنة، واستظهارهما بالفسقة، واعتداء كل واحد منهما على ابن عم ذي رحم ماسة، وتوسط كل واحد منهماً في شأنه بامرأة خبيئة، فلذلك حسناء الشيرازية، ولهذا بنت سكرى المورورية فأصبحا في ذلك على فرط التنائي عبرة. وقال صاحب كتاب نقط العروس: ومن العجب اتفاقهما في الأخلاق وفي العمر واللقب، وأن كل واحد منهما خلع عن الأمر، وكل واحد منهما تركه أبوه صغيراً. قال ابوحيان: ولم يكن المستكفي من هذا الأمر في ورد ولا صدر، إنما أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنة وبلية، إذ كان منذ عرف غُفلاً عُطلاً منقطعاً إلى البطالة، مجبولاً على الجهالة، عاطلاً من كل خلة تدل على فضيلة. عضته الفتنة فأملقَ حتى استجاز طلب الصدقة. رأيته أيامَ الحسف بأهل بيته في الدولة الحمودية، ولم يكن ممن لحقه الاعتقال لتحقير أمره، يقصد أهلَ الفلاحة أوانَ ضمهم فغلاتهم يسألهم من زكاتها تكليماً ومخاطبة. وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الإمارة مدة تلك الفتنة أسقطُ منه ولا أنقصُ، إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة، مشتهراً بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة، ضداً لقتيله عبد الرحمن المستظهر في اللب والمعرفة" (ابن بسام ج.١، صفحة ٤٣٣-٤٣٤).

ثم يكمل ابن بسام سرد التعريف به ويذكر خبراً ملفتاً للانتباه فيقول:

"وفي أيام المستكفي هذا استؤصل بقية قصور جده الناصر بالخراب، وطُمست أعلام قصر الزهراء، واقتلع نحاسُ الأبواب ورصاص القني، وغير ذلك من الآلات. فطُويَ بخرابها بساط الدنيا، وتغيرَ حُسنها، إذ كانت جنة الأرض، فعدا عليها قبل تمام المائة من كان أضعف قوةً من فأرةِ المسك، وأوهنَ بنيةً من بعوضةِ النمرود، والله يسلط جنوده على من يشاء، له العزة والجبروت" (ابن بسام، ج. ١، صفحة ٤٣٦).

ويُنهي ابن بسام خبر المستكفي بذكر أنه خرج هارباً من مدينة قرطبة ومات في أقليش.

أما المقري، فإنه لا يذكر الكثير عن المستكفي. فهويبدأ بذكره في حديثه عن تاريخ الأندلس السياسي. وفي الموضع الأول لذكره، يقول المقري:

"ثم كانت دولة بني أمية الثانية: وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر. ثم المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر. ثم المعتد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، وهوآخر خلفاء الجماعة بالأندلس، وحين خُلع أسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة المروانية" (الجزء الاول، صفحة ٣٠١).

ثم يعود المقري لذكره مرة أخرى في سياق حديثه عن الأحداث التاريخية التي أدت إلى وصوله إلى سدة الحكم وحكمه لمدة ستة عشر شهراً ثم هروبه من قرطبة وخلعه. ويُنهي المقري هذا القسم بالتعليق مرة أخرى على نهاية الدولة الأموية: " وانقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتشر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف " (الجزء الأول، صفحة ٤٣٨). ويذكره المقري للمرة الأخيرة في سياق حديثه عن ولّادة فيقول: "وكان أبوها المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر، كما ألمعنا به في غير هذا الموضع، وكان جاهلاً ساقطاً، وخرجت هي في نهاية الأدب والظرف: حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر" (الجزء الرابع، صفحة ٢٠٨).

التحليل ودلالات الموازنة

يعكس عرض ابن بسام لابن زيدون وولادة حقيقة مهمة وهي أن المصادر التي جاءت بعد ابن بسام، وحتى الدراسات الحديثة، ركّزت على قضية مركزية علاقة ابن زيدون بولّادة. وهي، بالطبع، قضية مهمة ولا أحد ينكر هذا الجانب. غير أن هذا البحث سيركز على جانب مهم لم يُتطرّق له في الدراسات الحديثة، وهوقضية تصوير الشاعرة ولّادة ووالدها الخليفة المستكفي في المصادر التراثية ثم تحليل دلالات هذه الموازنة في السياق التاريخي والثقافي والسياسي.

بداية، بعد عرضي لصورة ولّادة وأبيها فإن هناك حكماً مختلفاً جداً عليهما. فشاعرتنا صُوّرت بشكل إيجابي

منقطع النظير، مع أن هناك ملاحظات تذكرها هذه المصادر إلا أنها لا تتوقف عليها بشكل سلبي : فعلى سبيل المثال، تصور جميع المصادر المشار إليها ولادة بأنها "واحدة زمانها" من جميع النواحي تقريباً أي من العلم والأدب والحسب والنسب. ومع أن ابن بسام مثلاً يذكر لنا أنها كانت معروفة بقلة المبالاة التي أثرت على سمعتها إلى حد ما، فإنه لا يهاجمها لهذا، وإنما هويستغفر لها، بل إنه يدعولها أيضاً. أما ابن بشكوال فإنه لا يذكر هذه المعلومة مطلقاً وإنما يركز فقط على مزاياها الإيجابية كشعرها الجزل وسجالها للأدباء وتفوقها على البرعاء. أما السيوطي فإنه لا يذكر هذه المعلومة بتاتاً، ولكنه يذكر بعض شعرها المشهور:

"أمكن عاشقي من صحن خدي

وأعطي قبلة من يشتهيها

ثم يعلق بعد ذلك :" وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف ". (صفحة ٨٧).

إذاً فالسيوطي لا يكتفي بحذف الخبر المذكور في الذخيرة بل إنه يدافع عن ولادة ويركز على صيانتها وعفافها. وخلاصة الأمر هنا أن حفظة التراث ركزوا على إيجابيات ولادة وتصويرها بشكل يكاد يكون مثالياً.

وإذا وازنا هذا بكيفية تصوير والدها، فإننا حقاً نتفاجأ بالطريقة التي صُوِّر فيها المستكفي. إنه فعلاً يمثل عكس ولادة على كل الأصعدة. والمثال الواضح هنا هونعته بالجهل فيما هي تمثل المعرفة والعلم ومجالس العلماء والأدباء. فالمقري يلخص هذا الشعور عند موازنته بين الإثنين: "وكان جاهلاً ساقطاً، وخرجت هي في نهاية الأدب والظرف". وفي رأيي فإن قلة المعلومات المذكورة عن المستكفي عند المقري الذي يعتبر كتابه "نفح الطيب" إلى حد كبير خاتم المصادر التراثية عن الأندلس، تمثل تحقيراً له وانعدام أهميته التاريخية. وهومرتبط في كتاب " نفح الطيب " بالفتنة وبالدولة الأموية "الثانية" التي تمثل، بدون أدنى شك، نهاية الدولة الأموية في الأندلس. ففي هذه الدولة الثانية ثلاثة خلفاء أمويين فقط لا غير، وهم كلهم يمثلون الضعف والهوان والمأساة التي وصلت إليها الدولة الأموية في تلك الفترة. إذاً على المستوى السياسي، المستكفي هوجزء من نهاية الدولة الأموية في الأندلس وبالتالي فهوجزء من بداية التدهور السياسي في الأندلس بعامة.

أما ولادة فهي تمثل شيئاً مختلفاً تماماً عن والدها. ولكن لا بد من الملاحظة هنا أن ولادة أيضاً جزء لا يتجزأ من العائلة الأموية، وهناك، بغير شك، شيء من المفارقة في التصوير بينها وبين والدها الأموي أيضاً. ولكن هنا لا يمكننا أن ننسى أن ولادة أيضاً هي آخر شخصية مهمة يذكرها التراث من العائلة الأموية. وفي حد علمي فليس هناك أي شخصية أموية أخرى تحظى بأي ذكر ذي قيمة بعدها! فما هي دلالة هذا؟ ولماذا يركز كُتاب التراث عليها خاتمة للعائلة الأموية في الأندلس؟

ولادة في الحقيقة ليست فقط خاتمة البيت الأموي في الأندلس، وإنما هي خاتمة البيت الأموي كله في هذه الفترة من الزمن. ولذلك فإنها تحظى بأهمية غير عادية في رأيي. هناك العديد من القضايا المُحيِّرة والتساؤلات التي تستحق النقاش والتحليل بعد قراءة الطريقة التي تُصَوَر بها في المصادر التراثية. أول هذه القضايا يتعلق بقلة المعلومات التي نعرفها عن نشأتها وكيفية اهتمامها بالشعر وحتى العلاقة بينها وبين والدها المذكور سابقاً. فهي تظهر، في المصادر، شاعرة معروفة ومشهورة ومشهوداً لها، ولكننا لا نعرف كيف وصلت إلى هذه المرحلة من الشهرة؟! وكيف أصبح مجلسها "منتدى لأحرار المصر"؟!. لا يمكن بالطبع معرفة الإجابة عن هذه الأسئلة لأن كتب التراث لم تترك لنا أي معلومات في هذا المجال. وبالتالي فإن شاعرتنا تبدوشخصية فيها سمات أسطورية إلى حد ما، وتبدأ هذه السمات بقلة المعلومات عنها باعتبارها شخصية إنسانية.

ثاني هذه القضايا أنها على ما يبدوكانت تتمتع بكامل الحرية في التصرفات واستقبال الضيوف وما إلى ذلك، وهوشيء ملفت للانتباه بدون أدنى شك. والقضية هنا لا تتعلق بمزيد من الحرية للمرأة في المجتمع الأندلسي كما أشار بعض الباحثين أمثال الدكتور الشكعة في كتابه عن الأدب الأندلسي. فليس هناك دليل قاطع على وجود المزيد من الحرية للمرأة في المجتمع الأندلسي بشكل عام. فهذا، في رأيي، مجرد تكهنات غير مبنية على أدلة قاطعة وواضحة. هل الأمر مرتبط بحرية ولّادة بشكل خاص لأنها أميرة من سلالة الخلفاء والملوك؟ الملفت فعلاً أن ولادة كان لها "مجلس" أدبي يجمع الشعراء والأدباء كما تشير المصادر. وهذا يختلف، بغير شك، عن قرض الشعر أوالجلوس في بلاط الملك شاعراً أوشاعرة. فهي كالخلفاء والملوك والأمراء تجمع الشعراء والأدباء في مجلسها هي

وهم يتهافتون على أن يكونوا في ذلك المجلس. وهذه الصورة أيضاً مختلفة عن أخواتها الشاعرات في الأندلس. فليست ولادة الوحيدة التي قرضت الشعر، ولكنها الوحيدة في الأندلس التي كان لها "مجلس" يتهافت الأدباء والشعراء عليه. هذه الصورة تميزها عن أي امرأة أخرى في الأندلس وتسموبها إلى درجة عالية شبيهة بأجدادها الأمويين الذين اشتهروا بعنايتهم بالعلم والأدب والشعر والشعراء.

ثالث هذه القضايا أنها لم تتزوج ولم تترك أي ولد أوأي بنت، غير أن المصادر تركز على طول عمرها الذي يبدوأنه وصل إلى ثمانين عاماً. فمن ناحية ليس لها ذرية، وهوشيء ذومفارقات عجيبة حقاً. فلوأنها تزوجت فعلياً وخلفت أولاداً أوبنات فإن هؤلاء يكونون من عائلة والدهم في الثقافة العربية والإسلامية، ولذلك فإن عدم زواجها وعدم إنجابها يؤدي، بشكل غريب، إلى المزيد من تسليط الضوء عليها هي بشكل خاص. المفارقة الثانية هي أنها عاشت عمراً طويلاً غير عادي لهذه الفترة الزمنية، وهذا قد يضيف، إلى أدلة تصويرها على أنها شخصية أسطورية (أوغير عادية على أقل تعبير)، دليلا آخر.

وهكذا فإن دلالات هذا التصوير، خاصة عند موازنته بوالدها المستكفي، تقودنا إلى المعاني الرمزية لشخصية ولادة، وهي معانٍ تتعدى شخصيتها التاريخية بدون أي شك. إنني هنا لست في صدد التشكيك في شخصيتها التي تحفظها المصادر التراثية، ولكنني أقترح ضرورة تحليل الأخبار السابقة الذكر على أنها تصور بعض جوانب شاعرتنا بما يدل على رمزيتها. وفي رأيي، فإن ولّادة، بالنسبة لابن بسام والسيوطي والمقري، هي رمز لعظمة البيت الأموي والدولة الأموية في الأندلس، في أوج عظمتها وعلاقة هذه الدولة بالاستقرار والرخاء و"الأيام الخالدة". وهذا هوسبب من أسباب تصويرها بشكل إيجابي ووضع والدها الفاشل سياسياً في مقابلة معها بشكل واضح.

وأخيراً، فلا بد لنا من التعليق على اسم ولّادة ودلالاته أيضاً، والمفارقات الموجودة فيه. وفي بداية الأمر يجب التعليق على غرابة الاسم، فهواسم غير دارج على الإطلاق بين البنات العربيات، بل يمكن القول إنه قد يكون مقصوراً عليها، فلا أذكر أي شخصية أخرى تحمل هذا الاسم في التراث العربي القديم، على الرغم من أن العرب، عندما يختارون زوجة، يفضلون العروب الولود، فكأنهم أخذوا هذا الاسم من الصفة المرغوبة في الزوجة، وهي الولود. والمفارقة العجيبة هي أن الاسم مرتبط بالولادة والإنجاب، وهوالشيء الذي لم يتحقق لولادة الشاعرة الأموية. فهي، كما قلنا سابقاً، لم تتزوج ولم تنجب أي أولاد. أما على المستوى الرمزي، فإن عدم زواجها، وبالتالي عدم إنجابها للأولاد، وهنا المفارقة، لم يسبب اندثار ذكراها، وإنما، عل العكس، سلّط الضوء عليها بشكل خاص. والنتيجة النهائية هي أنها حفظت ذكرى البيت الأموي بشكل إيجابي كما يحفظه التراث.

الخاتمة:

وبعد فإنه يمكننا الاستنتاج بأن مصادر التراث القديمة من "الذخيرة" لابن بسام إلى "نفح الطيب" للمقري تركز بشكل محوري على شخصية ولادة الشاعرة الايجابية والمهمة جداً في تاريخ الأندلس، وفي المقابل فإن والدها الخليفة المستكفي يُصَور على أنه شخصية سلبية و"ساقطة" في رأي مؤلفي كتب التراث. وهوأمر، كما أشرنا، يوافق عليه ابن بسام والسيوطي والمقري مع اختلافهم في الجوانب التي ركزوا عليها. ويمكننا القول إذاً : إن حفظ التراث لولّادة، وهي آخر شخصية أموية تستحق الذكر، وتحفظها المصادر بشكل إيجابي، هوتأكيد من هذه المصادر على أهمية ولّادة الشاعرة وضرورة حفظ ذكراها، وهويدل على مركزيتها في الذاكرة التراثية. وهذه المركزية مستمدة من أهمية ولّادة على المستوى الثقافي شاعرة مميزة كانت تجمع الشعراء والأدباء في مجلسها وكأنها تحفظ بذلك ذكرى الدولة الأموية التي كانت في أوجها تجمع الشعراء والأدباء وتشجع الشعر والأدب والعلم. وفي المقابل نرى والدها المستكفي وهويُصَوَّر بشكل سلبي للغاية في المصادر التراثية إلى حد وصفه بالجهل وعدم المعرفة تماماً على عكس ابنته ولادة. وهكذا يبدوالمستكفي شخصية هامشية تماماً في رأي كتب التراث العربي الأندلسي أمثال ابن بسام. وهذه الهامشية للمستكفي مرتبطة، في رأيي، بزوال الحكم الأموي على الأرض، وهي التي يسميها المقري "الدولة الأموية الثانية"، أي أن الحكم الأموي قد زال من الناحية السياسية على أيدي المستكفي وأمثاله. ولكن المفارقة أن ذاكرة البيت الأموي لا تنتهي بأمثال المستكفي، وإنما بولادة الشاعرة والأديبة التي هي قمة في العلم والأدب والشعر والتي بهذا تحفظ ذاكرة الأمويين كلهم بشكل إيجابي من الناحية الثقافية.

قائمة المصادر والمراجع العربية:

١) إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة. عمان: دار الشروق، ٢٠١١.
٢) أحمد بن محمد المقري. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ٢٠١٢.
٣) ابن بسام الشنتريني. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: احسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩.
٤) ابن بشكوال. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. تحقيق: بشار عواد معروف. تونس: دار الغرب الاسلامي.
٥) ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر،١٩٩٤.
٦) جلال الدين السيوطي. نزهة الجلساء في أشعار النساء. القاهرة: مكتبة القران.
٧) عبد الرحمن علي الحجي. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. دمشق: دار القلم، ٢٠١٠.
٨) لسان الدين بن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة: مكتبة الخانجي المعارف.
٩) محمد المنتصر الريسوني. الشعر النسوي في الأندلس. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨.
١٠) مصطفى الشكعة. الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣.
١١) ياسر الملاح. من الفجر الى الغروب: قصة الأدب العربي في الأندلس. القدس: مطبعة الإسراء، ١٩٩٣.

قائمة المراجع بالانجليزية:

Al-Mallah, Majd. In the Shadows of the Master: Al-Mutanabbi's Legacy and the Quest for the Center in Fatimid and Andalusian Poetry. Berkshire: Berkshire Academic Press, ٢٠١٢

Hammond, Marle. Beyond Elegy: Classical Arabic Women's Poetry in Context. Oxford: Oxford University Press, ٢٠١٠.

Hitchcock, Richard. Muslim Spain Reconsidered from ١٥٠٢-٧١١. Edinburgh: Edinburgh University Press, ٢٠١٤.

Lévi-Provençal, E.; Latham, J.D.; Torres Balbás, L.; G. S. Colin. "al Andalus." Encyclopaedia of Islam, Second Edition, Edited by: P.Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs. Brill Online, ٢٠١٦.